الألوان تلعب الورق، أو مصطفى وخديجة .

أحمد بوزفور

الالوان في جلسة رقم 1

الابيض : عشر سنوات كاملة عقاب عادل

الاسود : كاملة ! رغم انه قتل

الازرق : قتل اجنبيا .

الاسود : شوفينية حمقاء ، الاجنبى بقة ؟

الازرق : الشوفينية ولا الخيانة .

الاسود : الخيانة ؟

الابيض : ايها السادة .. ايها السادة .. ارجوكم

الاسود : انه يتهمنى بالخيانة، هذا الحفرية المتحجرة، اما الاخلاص والوطنية فهما قتل كل اجنبى ثم بالطبع قتل كل اجنبى ثم بالطبع قتل كل مواطن حتى لا يبقى غير وجهك الازرق اللعين .

الازرق : انظروا الى الذئب يبكى على الغنم .

الاسود : المواطنون ليسوا اغناما .

الازرق : ولذلك نريد تخليدهم فى السجون .

الاسود : انه قاتل .. قاتل ، قتل يا اخى قتل ، ازهق روحا بشرية أين حس المسؤولية ؟

الازرق : نعم .. نعم .. اريد ان اقول : هناك ظرف مخفف

الاسود : الوطنية ! . هم..

الازرق : لا اقبل ان تمس هذه الكلمة المقدسة بالسخرية

الاسود : طبعا .. منها ترتزق

الازرق : خير من ان استغل بالخيانة

الاسود : الخيانة ايضا .. ويقول الاستغلال هذا «الشيلوك» المنافق

الازرق : التاريخ القريب يشهد .. فلننشر الماضى .

الاسود : ولم لا ننشر الحاضر

الازرق : فلننشرهما معا .. هيا .. اذا استطعت

الابيض : ايها السادة ، ايها السادة ، احذركم
الاسود : لا ادرى كيف يدافع الانسان عن قاتل .
الازرق : لا ادافع عن القتل .. اريد فقط مراعاة الظروف .
الاسود : هل حضرت المحاكمة ؟ ابحث عن المرأة ياسيدى .. المرأة .. هل تسمى المرأة وطنية عندك ؟
الازرق : لا اعتقد ان الامر كان يبلغ حد القتل لو لم يكن الجانى اجنبيا
الاسود : الجانى ! انه مات .. قتل
الازرق : قبل ان يموت خطف فتاة مغربية من خطيبها . كما فى الاقتصاد كذلك فى الحب، الخطف هو وسيلتهم .
الاسود : كانت الفتاة تحب أندرى
الازرق : ولكن مصطفى كان يحبها
اذسود : الحب لا يكون بالسكين
الازرق : كان خطيبها
الاسود : حتى لو كان زوجها
الازرق : لا تهمكم كرامة وطن بكامله فكيف تهمكم حرمة الزوجية المنتهكة ؟ ان لنا تقاليد ايها السيد .
الاسود : «الى الدير .. الى الدير اذهبوا .. وأسرعوا»
الابيض : القانون يراعى تقاليد البلاد
الازرق : ليس دائما . للاسف
الاسود : بل دائما .. للاسف
الابيض : هناك طرق ديمقراطية لتعديل القانون ، نحن لا نعيش فى غابة .
الازرق : روتين الاجراءات يضايقنى
الاسود : المهم هو التطبيق .. كل قانون صالح . اذا كان مطبقا ازرق ـ والتقاليد، والاصالة، والتاريخ، والشخصية القومية، الا تعنى هذه الكلمات شيئا عندك ؟
الاسود : والنظام ، والامن ، والانتاج ، والتقدم ، الا تفهمها ؟
الازرق : انت لا تريد غير الربح . ترى بأى ثمن تبيع الوطن ؟
الاسود : انت ادرى ياسيدى .. سل المجرب
الابيض : ايها السادة .. ألا تكفون عن النقار؟ هناك قضية تبحث ، وهناك الوان اخرى تريد الكلام . تكلم انت
الاصفر : الآن فقط تحتاجون الى
الابيض فى حنق : لست وحدك فى البر .. تكلم اذا شئت او اصمت قد يكون الصمت خيرا احيانا

الاصفر : كنت اود .. ماذا لو خرج من السجن وهيئت له حياة معينة تكيفه مع المجتمع ؟

اسود للازرق : ارايت نتيجة تساهمك ؟ غدا يطلب ان تعلق الاوسمة للقتلة

الازرق : بل انها نتيجة تطرفك .. الضغط دائما يولد الانفجار

رمادى : قا ، قا ، قى ، قى ، قو.. قو..

الازرق : ماذا هناك ايضا ، من يتكلم ؟

الابيض : لا احد . لم اسمع شيئا

الاسود : اذنك تسمع الهواء .. قد يكون عفريتا ..آ؟

رمادى : قى.. قى.. قو. قو .. قو.. قا.

الازرق : الم تسمعوا ؟ كانها دجاجة تقوى .. من يدرى ماذا تلد غدا .

حين خرج مصطفى من السجن :

اتكأت على الجدار الاصفر العالى ورعت بعينيها باب السجن الكبير، سيخرج الآن . هل.. تعانقه ؟ حولها كان يدور شاب طويل القامة ، يدخن فى عصبية ، ولا يكف عن الحركة . صديق له . او قريب ؟ ولكنه طويل جدا ونحيف يكاد ينقصف ، لحيته تخفى معالم وجهه وعيناه لا تستقران الفراق لقاء كما مسخ الدم دمعا .. كما مسخ الدم دمعا ياحبيبى» مصطفى على شىء ، حين تضبطهما تطيران مذعورتين نحو الباب الكبير فتطير معهما عيناها وتهبط نفسها كالحصاة الى غور ركبتيها . وقرقع الباب.. لم يغمض عينيه الضيقتين كما تخيلت من قبل ، وبدا عاديا ، قصير القامة قصير الشعر ،وبشارب ، لحيته حليقة ، وبخده الايمن الندب نفسه .. ارتجفت ركبتاها، وصعدت نفسها الخجول المرتبكة فى بطء كطفل متلبس بحثت عن عينيه فى اصرار ، ولم تتحرك . وسبقها اليه الشاب الطويل ، عناق قصير وكلمات قليلة .. وهاهو امامها :

ـ خديجة ؟ اهلا

ـ الحمد لله على السلامة

احتفظت بيده الهاربة ، ولم تعانقه ، لم يعانقها .

ـ خديجة .. عبد العزيز .. هيا نتحرك

صافحت الطويل الذى كان يحمل الحقيبة ، اخذها منه مصطفى .. وتحركوا على الطوار صامتين .

مصطفى يقول لخديجة انه عيان :

وحدهما اخيرا يمشيان صامتين ، الطويل حمل الحقيبة ومضى لينتظره فى البيت ، وحدهما اخيرا .. اخيرا، مصطفى، مصطفى، مصطفى الى أين تهرب الحروف الحبيبة الخضراء ؟ لا لهفة ولا عتاب .. واين

الفرحة والـ.. والبطولة ؟ كيف يكون الانسان غريبـا هكذا كاجنبـى ، وعاديا جدا كـ. كأى اجنبى... هل ينتظر ان تبدأ هى الكلام ؟

«بالدم أبكيك ياحبى البعيد .. بالدم ابكيك لا بالدموع .. ثم يجـد دمى جرحا يتنفس منه ياحبى فخرج من عينى، فسبحان الذى لو شاء مسخ مصطفى ، مصطفى ، مصطفى اين الحروف الـ.

ـ لماذا لا تعاتبنى ؟

ـ أم ؟ اعاتبك ، كيف ، علام ؟

كأنما فوجىء بالحديث .. اين كان ؟

ـ لم ازرك فى السجن ولا مرة

ـ آه .. صحيح .. كنت اقول لنفسى ، الغائب حجته معه ،

ـ انا الآن حاضرة

ـ لابد ان لك عذرا .. على اى حال اشكرك على مجيئك اليوم

ـ تسخر ؟

ـ انا .. لماذا اسخر ؟

ـ فى البداية كنت خائفـة .. ومن بعد .. لـم ارد لفت الانظـار ، وتساءلت عن جدوى زيارة قصيرة باردة .. بدلا من ذلك فعلت ما هو اهم.

ـ . . . .

ـ انتظرتك

ـ . . . .

ـ كنت اعد الايام ، وأخاصمهم ، وأرفض كل المشاريع ، ويومـا بعد يوم كان .. كنت ازداد لهفة وشوقا .. آه ـ ـ اتى هذا اليوم اخيرا ـ وها نحن معا تحت السماء ..

(*)(*)(*)

ـ لماذا لا تتكلم ؟

ـ ماذا اقول ؟

قل اى شىء

ـ انا عيان قليلا

مريض ؟

ـ لا .. لا .. فقط عيان ، احتاج الى بضعة ايام من الراحة ، انـام فيها ، وأدخن ، واستجمع نفسى .

ـ . . . .

. لعلنا نكون اقدر على الحديث فيما بعد .. اليس كذلـ ـ

ـ اذا كنت تريد ان .حسنا.. كماتشاء.. اين ستكون ؟

ـ عند عبد العزيز مؤقتا .. اذا شئت ان تزورينى بعد يومين او ثلاثة فتعالى ، هل اعطيك العنوان ؟

ـ اذا لم ازعجك

ـ ارجوك.. معك قلم

ـ نعم ، قل لى العنوان .

خديجة تتحدث مع نفسها :

هل فوجىء باقبالى ؟ لم يكن ينبغى ان تتهافتى عليه هكذا ، لماذا لا يحب الناس بعضهم فى بساطة؟ لماذا احب الذى لا يحبنى، ويحبنى الذى لا احبه ؟ وحين تقبلين على الناس يعرضون عنك ، وفقط حين تعرضين عنهم يلحون عليك كالذباب ، هذه الدنيا غريبة ، كآلة معقدة .. الافق الملون المثير .. الاشقر الفاتن كالكرز ، يصبح فجأة حبة بطاطس متسخة والعاشق المفتون الفارس البطل ينظر اليك من زاوية العين دهشا ومستفسرا كأجنبى «ياقلبى..ياقلبى الغالى» هل لانى قتلت الآخر ؟ حبة البطاطس المتسخة الشقراء منطرحة على ارض الحديقة العمومية كورقة كبيرة صفراء ، وأضواء المدينة البعيدة تحذر من الحركة وتغرى بالهرب معا . وفجأة تنبثق الرحمة الى جانبك، ويحتضنك فى عنف حتى تتقد فى أعماقك الرعشة المقرورة ويردد فى اذنك : «ياقلبى .. ياقلبى الغالى» كالظل كان.. يرى ويسمع ويعاتب ويثور ويتهم ويسب. ولكنه يتبع دائما وحين تحتاجين اليه يسبق العالم الى عينيك كالدمع ، ويقدم نفسه فداء حين تحيط بك الشبهات «ياقلبى ... ياقلبى الغالى» ، آه لو لم تفعلها ، لما كانت مدينة لاحد بشىء ، او لو حين فعلتها كانت شجاعة حتى النهاية الاخر كان لا يستحق القتل ، ولكنها انتقمت لسذاجتها ، كان يستحق البصاق فقط ، التافه المبتذل الحقير ، ينظر اليك فى سخرية ، ويعاملك كحذاء، الدودة العفنة.. كلا.. كان يستحق.. هل هو قريبك؟ الف قتلة يستحق، انا ايضا ، نفس السكين كانت كفيلة بتحرير كبريائك المحاصرة لو لم ينبثق فجأة من ظلام الليل . كبريائك التى احتضنها بين ذراعيه فى على وجهه ويديه مائحا وساخنا وذليلا.. اعترفى.. ولكنه بكى ايضا .. عنف ... وقتلها «ياقلبى .. ياقلبى الغالى» وأنت بكيت ، ودمعك سقط ، بكى كالطفل ، من الحب لا من الخوف ، واحتضنك ، وقدم نفسه كفدائى:

«انسى ما حدث تماما ، علاقتكما ظلت عادية ثم لم تعودى ترينه .. لا بأس من ان تسألى عنه بعض معارفه» .

ـ لكن اين اندرى ؟ لا اراه اليوم .

ـ أوه .. القط ، سترينه بعد قليل ومعه موديل جديد يرسم قال.. انا ايضا رسمت.. انا التى رسمت اللوحة كلها فى الاخير، بل هو الذى رسمها «طبعا سيستدعوننى .. وسأعترف . أنت خطيبتى .. بضع سنوات واخرج .. أما انت فظروفك العائلية.» ياحبى البعيد .. بالدم أبكيك .. ياقلبى الغالى .. لماذا يرخص كل شىء كالتراب ؟ خديجة ،

هل تعرفين ؟ التراب يغطى العالم .

«ـ نسيت ان اقول لك .. انى .. كنت احبك دائما

ـ اعرف هذا» .

هل هى الكلمة التى حطمت كل شىء ؟ ام هو السجن ؟ سأعرف منه

حبيبات الرمان :

من النافذة رآها .. تتفحص الارقام فى ابواب العمارات . الفستان ابيض، والصاك والشعر أسودان، والشارع فارغ تقريبا ، كأنما احسست به يراقبها ، لم يتحرك وهى تنظر اليه ، وحين رفعت يدها اليمنى رفع يده دون شعور ، وغابت فى باب العمارة . الماضى كله يمشى على قدمين وكالشرطى يتفحص ابوا بالعمارات ، يلبس الابيض ، ويدق الباب فى رقة ، وقد يعرض نفسه كالتاجر ، ويحيطك بذراعيه اللزجتين كالعنكبوت هل الاسطوانة متحفرة؟

سلمت فى ادب باسم ، وحين كان يغلق الباب نفخ رائحة العطر والعرق من انفه فلم تخرج ، جلست وجففت وجهها ، وروحت بجريدة قديمة دون جدوى .

ـ مرحبا

ـ اين صاحبك ؟

ـ عبد العزيز .. فى محطة القطار .

ـ سافر ـ يعمل

ـ لم تسافر انت ـ الى اين ؟

ـ لزيارة الاقارب مثلا ـ لا اقارب

ابتسامتها سائلة كاللعاب ، وأحمر الشفتين باهت ، ذراعها الايسر العارى ناعم متهدل يمتص زغبه الاملس الندى الضوء الساقط على الارض فى اغراق .

ـ لم تبحث عن عمل ؟

ـ بعد اسبوع سأبدأ العمل

ـ أى عمل ؟

ـ شيئا ما فى محطة القطار

ـ الا يمكن ان تجد عملا احسن ؟

ـ .....

ـ على اى حال سأكون معك حيثما كنت .

هذه هى الطامة الكبرى ياسيدتى ؟ هل اعمل او اتزوجك ياسيدتى، البداية منك وفيك وبك ، أما النهاية فلن يرسمها احد غيرى .

ـ مصطفى .. لنتحدث بصراحة

ـ نعم

قبل ان نفترق منذ عشر سنوات قلت لك اننى كنت احبك دائما ، وقد ظللت انتظرك طوال هذه السنوات، أريد ان اعرف الان حقيقة شعورك نحوى .

ـ تريدين الحقيقة ؟

- لا اريد غيرها

انا لا اشعر بأى شيء الان .

ـ هذا يعنى ان ..

ـ لايعنى شيئا على الاطلاق .. لا سلبا ولا ايجابا

ـ وسنوات الانتظار الطويلة ، ألا تعنى شيئا ايضا ؟

ـ عشتها فى السجن .

واحتد صوتها : كنت فى سجن انا الاخرى .. ألا تفهم ؟

سجنى كان اقسى

وها هى الدموع تطل ايضا : «تماثيل ، اجنحة كبيرة من الرخام ، أتظن حتى لو انها على كتفيك انك تقدر أن تطير » خذ كالايمن يلتهب الملح يفترس الجرح .

ـ لو عرفت . لو عرفت انك .. ستخرج غريبا هكذا .. تعاقبنى؟ آه .. تنتقم منى انت الاخر ، انت والزمن .. وهم وكل الناس آه ؟ انت ايضا ؟ اللحم اللحم.. اللحم الابيض العرقان والزغب المبلول الابتسامة السائلة اللزجة والكلمات الاصوات الشفاه الاصباغ البيوضة الطراوة الزغب العرق المعان البريق اللزوجة الرحم الخيانة الصراخ الضجة الحر الحر الحر السكين الجفاف العرق الدم الدم الدم اقضم اصبعك ، السكين.

وتناثرت الدماء فوق ارضية الغرفة وفوق الفستان الابيض كحبيبات الرمان ..

جلسة اخرى للالوان :

الابيض : التحقيق جار ، والبحث عن القاتل مستمر .

الاسود : هاكم السيبة تعود .. اصررت دائما على الصرامة فى تطبيق القانون ، ولكن بعض الناس لا يفهمون حتى يفوت الاوان .

الازرق : المهم الان هو القبض على القاتل ، اما القاء المسؤولية على الاخرين فهو حرفة نتقنها جميعا .

الابيض : نعم .. المهم هو القبض على القاتل . اعتقد ان القضاء سيحكم بالاعدام هذه المرة ، ولو غيابيا .

الاصفر : ما رايكم فى الحكم بالبراءة ؟

الابيض والاسود والازرق معا : ماذا ؟

الاصفر : حلمكم ايها السادة .. لو منح البراءة فى المحكمة فسيظهر حتما . تحكمون عليه بالاعدام وتنتظرون ان يقدم عنقه للمشنقة؟ سيغوص

فى اعماق الطبقات الارضية ويشعل النار والجريمة فى آبار البترول .
الازرق : فكرة ذكية
الاسود : اخشى انه يصعب تبرير البراءة قانونيا ؟
الابيض : لم يتهم شخص معين حتى الان رسميا
الازرق : الفكرة تحتاج الى المزيد من الدراسة .
رمادى : قى قى قى .. قو قو قو ..
الاصفر : وهاهو حضرة القيقيقى .. من يدرى قد يكون قاتلا ايضا .
الازرق : الالوان تفرخ كالجراد هذا الزمان، ولا يعرف الا الله ماذا تخبىء تحت زعقاتها المتشابهة
الاسود : القيقيقى يقتل ؟ انتم تخافون من جلابيبكم
الازرق : الاحتياط لا يضر . وقد يفيد .
حبيبات الرمان تغنى :
نحن حبيبات الرمان
نخرج من تاريخ الجدران
نسخو بالحب ونسخو بالدم
ونشق القشرة عن جسد الانسان
الالوان تلعب الورق :
لازرق : روندا .. ارشم
الاسود : فى جوج
الاصفر : ما ترشمش .. ثلاثة
الابيض : ربعة .. ارشم ربعة .. لرياى
الازرق : وانا لرياى
الاصفر : وانا لرياى
الاسود : مستحيل .. وانا لرياى كشفو لوراق.
الابيض : تمنيا دلرياى ، كيفاش ؟ السادات الكارطة خاسرة .